

التفسير المطول - سورة الزمر 039 - الدرس 19-20: تفسير الآيات 67-70،
انحراف السلوك يقابل نقص المعرفة.

لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: 1993-5-28

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين،
اللهم لا علم لنا إلا ما علمتنا إنك أنت العليم الحكيم، اللهم علما ما ينفعنا وانفعنا بما علمتنا
وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن
يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين.

نقص المعرفة يقابله انحراف السلوك:

أيها الأخوة الأكارم؛ مع الدرس التاسع عشر من سورة الزمر، ومع الآية السابعة
والستين، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ
بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ (67)

سورة الزمر

أي ما عظموه حقَّ تعظيمه، ما عرفوه حقَّ معرفته، كلَّ أخطائهم، وكلَّ شركهم،
وكلَّ انحرافهم، وكلَّ معاصيهم بسبب نقص معرفتهم. أرجو الله سبحانه وتعالى أن يمكنني من
توضيح هذه الحقيقة؛ نقص المعرفة يقابله انحراف السلوك، ما من سلوكٍ منحرفٍ، ما من إنسانٍ
وقع في مخالفاتٍ، ما من إنسانٍ قصَّرَ في أداء واجبٍ، ما من إنسانٍ وقع فيما حرَّم الله إلا بسبب
نقص معرفته، فهناك علاقة طردية متوازية بين العلم وبين السلوك، فربنا عزَّ وجل بعد أن حدَّثنا
عن هؤلاء الذين أشركوا، هؤلاء الذين عصوا، بيَّن أنهم ما عصوا، وما أشركوا، وما قصَّروا، وما
أسأوا إلا بسبب أنهم ما قدرُوا الله حقَّ قدره، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ أي إذا كان هناك طبيب
يحمل أعلى شهادة في العالم - بورد - وطبيب مبتدئ جداً، وعلمه محدود جداً، أنت حينما
تتوجَّه إلى الطبيب الأقل معرفةً، والأقلَّ علماً، لا تعرف قدر الكبير، لمجرد أنك استغنيت عن
العالم واتجهت إلى الأقل علماً أنت ما قدرت علم الأول، لو قدرت علمه لاتجهت إليه، أنت

أحياناً تتكلم كلاماً طيباً، ولكن السلوك يؤكد أنك لا تعرف الله، فحينما تعصي الله معنى ذلك أنك لا تعرفه، حينما تؤثر مرضاة إنسانٍ على مرضاة الله احكم على نفسك أنك لا تعرفه، حينما تؤثر السلامة عن طريق معصية احكم على نفسك أنك لا تعرفه، لو عرفته حق المعرفة، لو عظمته حق التعظيم، لو قدرته حق التقدير، لو عرفت قدره ما عصيته.

إذا عرضوا على الإنسان نماذج من البضاعة واختار أسوأها، معنى ذلك أنه ما عرف قيمة أجودها، لو عرف قيمة أجودها لما اختار أسوأها، مادام اختار الأسوأ إذاً ما عرف قيمة الأجود، فأنت مع ما سوى الله عز وجل تتجه إلى لا شيء، إلى جهة لا تملك شيئاً، لا نفعاً، ولا ضراً، ولا موتاً، ولا حياة، ولا نشوراً، لا تسمع، ولا تعقل، ولا تعطي، ولا تستجيب، ولا تنفذ، فإذا تركت خالق الكون، السميع البصير، الحي القيوم، من بيده ملكوت كل شيء، واتجهت إلى ما سوى الله، أشركت، إذاً ما قدرت الله حق قدره، لو فرضنا أنت جندي وجاءك أمر من عريف وأمر من لواء، فرأيت أن أمر العريف يجب أن يُنفذ وأن أمر اللواء ليس من الضروري أن يُنفذ، أنت ما عرفت ماذا تعني رتبة لواء، وما عرفت الفرق بينهما، وأنت أجهل الناس بهذا السلك.

ما من إنسانٍ وقع فيما حرم الله إلا بسبب نقص معرفته:

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ أشركوا به، هناك معنى ضمنى، أنت حينما أشركت بالله، حينما توجهت إلى غير الله، حينما علقت الأمل على غير الله، حينما خفت غير الله، حينما أرضيت غير الله عز وجل أنت ما عرفت الله، لو عرفته لما تركته، لو عرفته لما توجهت إلى سواه، لو عرفته لما صرفت نفسك عنه، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ أشركوا به، إذ عبدوا غيره، هكذا التفسير: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ قصرُوا في واجبه تجاهه، وما قدرُوا الله حق قدره إذ خالفوا أمره، وما قدرُوا الله حق قدره إذ انتهكوا حرَماته، وما قدرُوا الله حق قدره إذ قصرُوا في معرفته، وما قدرُوا الله حق قدره إذ لم يعطوا كل ما يملكون في سبيل معرفتهم بالله عز وجل.

من ازدادت معرفته بالله استقام عمله:

إذاً هذا مقياس دقيق، كلما رأيت نفسك تُقصِر، تُهْمِل، تتجرأ، تتجاوز الحدود، احكم على نفسك أنك لا تعرف الله، هناك نقص في العمل بقدر النقص في المعرفة، النقص في العمل

أساسه النقص في المعرفة، لذلك النبي عليه الصلاة والسلام في الحديث الصحيح قال: عن أبي أمامة الباهلي:

من هاله الليل أن يكابده، أو بخل بالمال أن ينفقه، أو جبن عن العدو أن يقاتله، فليكثر من (سبحان الله وبحمده)؛ فإنها أحب إلى الله من جبل ذهب ينفقه في سبيل الله عز وجل.

صحيح الترغيب : خلاصة حكم المحدث : صحيح لغيره : أخرجه الطبراني

معنى ذلك تسبيحه قليل، والتسبيح هو التنزيه والتمجيد، أي معرفته قليلة، قلت المعرفة فقل معها العمل، قلت المعرفة فقلت معها التضحية، قلت المعرفة فقل معها الصبر، قلت المعرفة فقل معها البذل، قلت المعرفة فقلت معها الطاعة، قلت المعرفة فقلت معها الخشية، يجب أيها الإخوة أن تربطوا دائماً بين المعرفة وبين السلوك، يوجد خطأ في المعرفة لا بد من أن يتبعه خطأ في السلوك، هناك خطأ في السلوك لا بد من أن يُعزى إلى نقص في المعرفة، إن رأيت إنساناً منحرفاً احكم عليه أن معرفته بالله قليلة، إن رأيت إنساناً لا يعرف الله احكم عليه أنه لا بد من أن يخطئ، لأن ما في الداخل ينعكس على ما في الخارج، وما في الخارج يؤكد ما في الداخل، وانتهى الأمر، هذا التلازم بين العقيدة والسلوك، أشركوا، وقصروا، وندموا، وعبدوا غير الله، وانكبوا على الدنيا، بعد كل هذه الأوصاف الدقيقة لانحرافاتهم، قال: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ إذ عبدوا غيره، لو عرفوا الله ما عبدوا غيره، أنت بحاجة إلى مال، وجهتان الأولى تملك المال، والثانية لا تملكه، توجهت إلى التي لا تملكه، إذا أنت لا تعرف من يملك المال، لمجرد أنك توجهت إلى الذي لا يملكه وتضععت أمامه أنت لا تعرف الرجال، ولا تعرف الأحوال، فاتجاهك يؤكد معرفتك، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ أي ما عظموه حق تعظيمه، ما عرفوه حق معرفته، ما استقاموا على أمره كما ينبغي، ما قدموا العالي والرخيص من أجله كما ينبغي، كل الخطأ في العمل، كل التقصير في العمل، كل الانحراف في العمل أساسه نقص المعرفة، العلاج إذاً المعرفة، وكلما نمت معرفتك استقامت أحوالك، كلما زادت معرفتك استقام عملك، فداً حاسب نفسك.

الفصل بين العلم والعمل أخطر شيء في الدعوة إلى الله:

أخطر شيء في الدعوة إلى الله أن تفصل بين العلم وبين العمل، وأن ترى العلم هدفاً بذاته، لكن العلم وسيلة وليس هدفاً، فإذا جعلته هدفاً فقد وقعت في خطأ شنيع، العلم وسيلة وليس

غاية، العلم وسيلة إلى العمل، قال بعضهم: "العلم الذي لا يُثمر العمل الجهل أفضل منه، لأنه حجة عليك"، فهذه الآية: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ﴾ حينما أشركوا به ما قَدَرُوهُ حَقَّ قَدْرِهِ.

الأرض في قبضة الله تعني أن:

1 . الأرض في حوزة الله وفي ملك الله:

من الله عز وجل؟ قال: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ دعونا قليلاً من يوم القيامة، ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ ما معنى هذا الشيء في قبضتي؟ أي هو في حوزتي، أنا أملكه، وهو في قبضتي، أي أنا مالك التصرف فيه، أولاً: في حوزتي، وثانياً: أملك التصرف فيه، الأرض كلها بما فيها وبمن فيها، وبما عليها وبمن عليها، الأرض جميعاً بقبضة الله عز وجل، هي ملكه، ملك الله عز وجل ملك تام، هو الذي خَلَقَ، وهو المتصرف، وإليه المصير، قد تملك ولا تنتفع، وقد تنتفع ولا تملك، وقد تملك وتنتفع وليس إليك المصير، ملكية الله تامة، معنى: ﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا﴾ كلمة جميعاً للتفخيم، الأرض جميعاً، وبعضهم قال: ما دامت الأرض في بعض الآيات سبعة أراضين، فجميعاً أي الأرض بكل طبقاتها حتى نواتها الملتهبة، بكل ما فيها من ثروات، من فلذات، من معادن، ربنا عز وجل قال:

لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى (6)

سورة طه

هذه إشارة إلى أن هناك ثروات، هناك فلذات، هناك مناجم، هناك معادن، هناك بترول، هناك مناجم ذهب، ﴿لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى﴾ إذاً الأرض في قبضة الله تعني أن الأرض في حوزة الله، في ملك الله، ومُلكية الله للأرض ملكية تامة، يملكها ويتصرف فيها وإليه مصيرها، هذه الملكية.

2 . الله قادرٌ فيها على كل شيء :

المعنى الثاني: إن الله قادرٌ فيها على كل شيء، كل شيءٍ تتعلّق به قدرة الله عز وجل، قدرة الله تتعلّق بكل شيءٍ على الإطلاق، قادرٌ أن يمحوها، قادرٌ أن يفعل بها ما يشاء، قادرٌ أن يغرقها بالماء، الماء يقدر أن يجعله رحمةً، ويقدر أن يجعله عذاباً، الماء أحياناً يدمّر كل شيء، يُنثف كل المحاصيل.

الهواء قادرٌ على أن يجعله رياحاً منعشةً تسوق السحب، وقادرٌ على أن يجعله رياحاً مدمرةً، لا تذر شيئاً إلا أتت عليه، كل شيءٍ بقبضة الله، الأرض مستقرّة بقدره الله، وقادرٌ أن يزلزلها، البناء الذي استغرق بناؤه عشرين عاماً يصبح زكماً بثلاث ثوان. فمأوها رحمةً أو عذاب، هوائها رحمةً أو عذاب، بموجة صقيعٍ واحدة قادرٌ على أن يجعل كل الإنتاج الزراعي صفراً، أسود اللون، يقول لك: الصقيع أتلّف ثلاثمئة مليون خلال خمس دقائق، ما معنى في قبضته؟ أي هو في حوزته ملكاً وتصرفاً ومصيراً وضمن قدرته، قادرٌ أن يفعل بها ما يشاء، قادر أن تغور الينابيع فيموت النبات، ويموت الحيوان، ويموت الإنسان، وقادرٌ أن يجعل الأرض القاحلة وقد ارتدت حلّة قشبية، أي ما بين حمص والشام مسافة تعرفونها جميعاً، أرض قاحلة، في هذا العام نسب الأمطار تضاعفت، الآن بساط أخضر بين حمص والشام، خضراء كلها، قادر، تكون نسب الماء قليلة، قادر أن يضاعف هذه النسب، بعد أن يئس الناس من أن الأمطار في الشام باتجاه التناقص من مئتي وخمسين ميليمتر إلى مئتين وثمانية عشر إلى مئة وستين استقرت عشر سنوات مئة وستين أو مئة وخمسين، فوجئ الناس في هذين العامين الأخيرين بثلاثمئة فما فوق، لا نعم، ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾.

كل شيء في حوزة الله تعالى ملكاً وتصرفاً ومصيراً وضمن قدرته:

الأمطار بيده، الرياح بيده، البرودة والصقيع، أهل الساحل ما عرفوا الصقيع منذ ثلاثين عاماً، فجأة في العام الماضي تسع درجات تحت الصفر على ساحل البحر، غير معقول إطلاقاً، الأمطار التي جاءت قبل أسابيع كانت أربعين ميليمتراً، هذه الأمطار هذه الأيام أمطار عاصفية لا تستمر أكثر من دقائق، إذا بها أربعون أو خمسون أو ستون ميليمتر باتجاه الحسكة، ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ الأمطار بيده، الرياح بيده، الصقيع والحر بيده، الشام معتدلة "مضيف"، ممكن أن تأتيها موجات حر فتصبح كبلاد الحجاز، خمس وأربعون، ست وأربعون، ثمان وأربعون دمشق بالذات، ﴿وَالأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ﴾ الإنتاج جيّد، حشرة يعجز في مكافحتها علماء الأرض، كل الإنتاج تجده يصاب بهذه الحشرة، ليس في العالم كلّها مادّة مضادّة لهذه الحشرة، علماء ودول عاجزون أمام ذبابة بيضاء، لا تبقي في الإنتاج الزراعي شيئاً.

مرّة سألني أخ: هل على العسل زكاة؟ قلت: عليه زكاة، العلماء ألقوه بالإنتاج الزراعي، وقالوا: زكاة العسل العُشر إذا كانت خلاياه طبيعياً؛ في الأكوار، وفي الأغصان، ونصف العشر إن كانت خلاياه خشبية، أي إذا في نفقة نصف العشر، قال لي: أكيد؟ قلت له: مثلما تحب أنت حر، إن لم تدفع الزكاة فُرَاد النحل جاهز، أيضاً آفة تصيب خلايا النحل لا تبقي

بها ولا نحلة، أصابت هذه الآفة أكثر المناحل قبل سنوات، أتت عليها جميعاً، تدفع أهلاً وسهلاً، لا تدفع القراد جاهز، ما تلف مالٌ في برّ أو بحرٍ إلا بحبس الزكاة.

اليوم رويت بالخطبة قصتين قرأتها في صحيفة يومية بينهما أسبوع؛ إنسان ذهب إلى بلد غربي - إلى أمريكا - لمهمة تطوير معلوماته الاختصاصية، وعاد بعد ثلاثة أشهر محملاً بالهدايا الثمينة لزوجته الوفية، ولأصدقائه، ولأمه، ولأبيه، ولجيرانه، أنجب بعد عامٍ من مجيئه طفلاً كالوردة، بعد أن أنجبت زوجته هذا الطفل شعر بالآلام، بانحطاط، بضعف من طبيب إلى طبيب إلى طبيب، إلى أن أشار عليه بعض الأطباء أن يجري فحصاً لمرض الإيدز، أجرى الفحص النتيجة إيجابية، بقي يعاني آلام هذا المرض سنتين ثم مات، وبعد موته ماتت زوجته التي أصيبت بهذا المرض، والآن ابنه في مرحلة الوفاة، وله بنتٌ أنجبتها قبل أن يسافر إلى أمريكا، طبعاً زلت قدمه، حوصِر، وسئَل، وألقي عليه الحجر الصحي، وحقّق معه، زلت قدمه في هذه البلاد - ألا يا ربّ شهوة ساعةٍ أورتت حزناً طويلاً - قال قبل أن يموت: لو أن لهذا المرض دواء، وثمانه كل ما أملك لدفعته، لا من أجلي ولكن من أجل إنقاذ زوجتي الوفية البريئة وابني الصغير، ولكن المرض حصد الأسرة كلها، تستقيم أهلاً وسهلاً، لا تستقيم الإيدز جاهز.

قال لي طبيب أقام في فرنسا عشر سنوات، قال لي: أجريت دراسة لبنات الهوى هناك، ثلاثون بالمئة أو أكثر مصابات بهذا المرض.

الاستقامة على أمر الله ضرورية في حياة كل إنسان:

لماذا الدين ضروري؟ لماذا العلم ضروري؟ من أجل سلامتك، إذا كنت تنتزّه بأرض فلاة، ورأيت كلمة (انتبه حقل ألغام) هل تشعر أن هذه اللوحة تحذّر من حرّيتك أم أنها ضمانٌ لسلامتك؟

يا أيها الأخ الكريم؛ حينما تفهم الدين ضماناً لسلامتك فأنت فقيه، أما إذا رأيتَه حدّاً لحرّيتك فأنت لا تعرف شيئاً.

هذه قصة نُشرت في جريدة يومية قبل أسبوعين، أنا فوجئت بعد أسبوع بقصة مشابهة، شابٌ من شباب هذه البلدة خطب فتاةً ملء السمع والبصر، وعقد قرانه عليها في المحكمة الشرعية، وأمضى معها سنةً وأكثر، في فترةٍ يسمّيها الخُطاب من أمتع فترات حياتهم، الحديث عن غرفة النوم، وعن غرفة الضيوف، وعن موقع المنزل، وعن ماذا يسمون أولادهم حينما يأتون؟ ثم شعر أن بإمكانه أن يشتري سيارةً وقد رخصت أسعارها، وشعر أنه بحاجة إلى رخصة قيادة، ذهب إلى الجهات المسؤولة ليحصل على هذه الرخصة، أحد الأوراق تحتاج إلى

تبرُّع بالدم، ذهب ليتبرَّع بدمه، في اليوم التالي ألقي الحجر عليه - أنت مصاب بالإيدز - سنة
وهذان العروسان يلحمان بأحلامٍ رغيدةٍ، ببيتٍ سعيدٍ، بأولادٍ نجباء، كان جريئاً وأخبر زوجته،
طبعاً فُسخَ العقد فوراً عن طريق المُخالعة، وتألّمت الزوجة أشدَّ الألم، وهو ينتظر الآن وفاته، هذه
المعصية، تحب نفسك استقم، تحب سلامتك استقم، الأمور واضحة وضوح الشمس، فلذلك حينما
تتجه إلى ما يُغضب الله أنت لا تعرفه، والأدق من ذلك أنت لا تعرف مصلحتك، إذا عصيته
أنت لا تعرفه ولا تعرف ما يسعدك.

إذاً: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ هذا المرض من خلقه؟
عقاب عاجل، هذا الفيروس من خلقه؟ هؤلاء في أوروبا وأمريكا لم يرتدعوا، لا دين لهم، ولا قيم،
ولا روادع، لكن ما أبشع الإنسان حينما يرتدع عن الزنا لا خوفاً من الله عزَّ وجل؛ ولكن خوفاً
من هذا المرض، ما أبشعه حينما يبتعد خوفاً على حياته، أو على سلامته، ولكن المؤمن يبتعد
خوفاً من الله، شتآن بين البُعدين، شتآن بين العِقتين، عِقَّة هي التَعَبُّد بعينه، وعِقَّة هي الخوف
بعينه.

3 . الأرض في قبضته أنه قادر على إهلاكها وإتلافها والذهاب بها:

﴿وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ هناك معنى ثالث؛ المعنى الأول: قبضته أي هي في
حوزته وملكه، وملكيَّة الله تامة.
والمعنى الثاني: أن كل ما في الأرض، ما فيها ومن فيها، وما عليها ومن عليها،
وما فوقها ومن فوقها، في قبضته أي في تصرُّفه، هو الذي يحكمها، وهو الذي يتصرَّف بها،
ومشيئته هي النافذة، والله يحكم لا معقِّب لحكمه، له الخلق والأمر.
المعنى الثالث لهذه الآية: أن الأرض في قبضته أنه قادر على إهلاكها، وإتلافها،
والذهاب بها.

وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفتُ (10)

سورة المرسلات

متى؟ يوم القيامة.

معاني مطويات في قوله تعالى: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾:

قال: ﴿وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ﴾ معنى مطويات أيضاً لها معنيان، المعنى
الأول: أنها في تصرُّف الله عزَّ وجل.

والمعنى الثاني أن هذه السماوات التي تبدو شيئاً لا يصدّق مليون مليون مجرّة تقريباً، في كل مجرّة مليون مليون نجم تقريباً، والفراغات البينية بين النجوم شيء لا يُصدّق، لو أن هذا المسجد هو الفضاء، بين النجمين كما بين كرتين صغيرتين، الأولى في طرفه الأول، والثانية في طرفه الآخر.

تسخير الله عز وجل الكون للإنسان من أجل أن يعبد:

لذلك ربنا عز وجل قال:

فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ (75) وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَغْمَمُونَ عَظِيمٌ (76)

سورة الواقعة

بعد الشمس عن الأرض مئة وستة وخمسون مليون كيلو متر، وتكبر الأرض بمليون وثلاثمئة ألف مرّة، وهناك نجمٌ صغيرٌ صغير في برج العقرب لونه أحمر، اسمه، قلب العقرب يتّسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ الله قال:

وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ (1)

سورة البروج

كل شهر في بُرج، برج العقرب فيه هذا النجم الصغير المتألّق الأحمر، اسمه: قلب العقرب، هذا النجم الصغير يتّسع للشمس والأرض مع المسافة بينهما، الذي عنده آلة حاسبة يحسب، احسب بينك وبين أقرب نجمٍ ملتهب إلينا أربع سنواتٍ ضوئية، هذه المسافة تعني أنك إذا أردت أن تصل إليه بمركبة أرضية تحتاج إلى ما يقارب من خمسين مليون عام، يجب أن يكون عمرك خمسين مليون سنة من أجل أن تصل إليه.

سيدنا المسيح ولد قبل ألف وتسعمئة سنة تقريباً، سيدنا موسى قبل ستة آلاف سنة تقريباً، سيدنا رسول الله قبل ألف وخمسمئة سنة تقريباً، فأين خمسون مليون سنة من أجل أن تصل إلى أقرب نجمٍ ملتهب؟ نجم القطب تحتاج إلى أن تصل إليه إلى أربعة آلاف سنة ضوئية، هذا أقرب نجم أربع سنوات، القطب أربعة آلاف سنة، إذا أربع سنوات تحتاج إلى خمسين مليون سنة مسافة الطريق، فكم تكون الأربعة آلاف سنة؟ والعملية تتم بسهولة بالآلة الحاسبة. هناك عملية معقّدة، الضوء يقطع في الثانية ثلاثمئة ألف كيلو متر، اضرب ثلاثمئة ألف كيلو متر في ستين، بالدقيقة، في ستين، بالساعة، بأربع وعشرين، باليوم، بثلاثمئة وخمسة وستين، بالسنة، بأربع سنوات تستطيع أن تعرف كم تبلغ، الآن اقسّم على مئة كيلو متر سرعة السيارة، هذه بالساعة، على أربع وعشرين باليوم، على ثلاثمئة وخمسة وستين بالسنة، أي حوالي خمسين مليون سنة تحتاج أن تصل إلى أقرب نجم ملتهب، هذا النجم الملتهب أربع سنوات، القطب أربعة

آلاف سنة، المرأة المسلسلة مليوناً سنة، مجرة حديثة ستة عشر ألف مليون سنة ضوئية، هذه مواقع النجوم، ﴿وَالسَّمَاوَاتِ مَطْوِيَّاتٍ بِيَمِينِهِ﴾ كل هذا الكون من أجلك، والذي خلق السماوات والأرض هو الذي خلقك، وسخر هذا الكون كله من أجلك وأمرك أن تعبد، لذلك قال سيدنا بلال: لا تنتظر إلى صغر الذنب ولكن انظر على من اجترأت.

ديننا دين توحيد:

﴿سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾، ربّما قال أحدكم - دائماً أركز على التوحيد - هذا هو الدين، ديننا توحيد، ما دام هناك شرك فهناك خوف، ومع الخوف هناك نفاق، مع النفاق هناك معاص، مع المعاصي هناك شقاء، أما إن كان هناك توحيد فهناك استقامة، مع الاستقامة راحة نفسية، وعزة، وكرامة، رأسك مرفوع، لا تأخذك في الله لومة لائم، لا تحش غير الله، ما تعلمت العبيد أفضل من التوحيد، كل ما في القرآن يؤكد التوحيد.

وفي كل شيء له آيةٌ
تدلُّ على أنه واحد

لبيد بن ربيعة

* * *

عندما أراد أخوة يوسف به كيداً:

فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ (98)

سورة الصافات

ما استطاعوا لأن الأمر بيد الله عز وجل

قصتا يوسف وموسى تؤكدان أن الأمر بيد الله وحده:

سيدنا موسى وُضِعَ في صندوق وألقي في اليم، الله عز وجل أمر أمه بأمرين، ونهاها نهيين، وبشرها بشارتين، قال:

وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خَفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ (7)

سورة القصص

هذا أول أمر: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ هذا الأمر الثاني، ﴿وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي﴾ نهيان ﴿إِنَّا رَأَوُوهُ إِلَيْكَ﴾ هذه أول بشارة، ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾ معنى هذا أن الصندوق بيد الله عز وجل، وحركة الماء بيد الله، وحركة امرأة فرعون بيد الله، وميل قلبها بيد الله. وَقَالَتْ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ قُرَّةُ عَيْنٍ لِي وَلَيْكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ (9)

سورة القصص

فرعون قتل كل الأطفال حتى لا يأتي طفل يقضي على ملكه، أما هذا الطفل الذي سيقضي على ملكه فرباه في قصره وهو لا يدري.

فَأَلْتَقِطَهُ آلَ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ (8)

سورة القصص

هذه لام المأل، ليست لام التعليل، انتهى الأمر أن هذا الطفل الذي أحبوه وربوه هو الذي قضى على ملك فرعون، الأمر بيد الله، قصة موسى كلها تؤكد أن الأمر بيد الله، قصة يوسف الأمر بيد الله.

أخطر شيء أن تكون مع غير الحق وأسعد شيء أن تكون مع الحق:

سيرة النبي عليه الصلاة والسلام، هؤلاء الكفار الذين عادوا النبي، أخرجوه من بلده، نكلوا بأصحابه، ائتمروا على قتله، ماذا كان في النهاية؟ هم ماتوا في معارك شهيرة وألقوا في القليب، والنبي عليه الصلاة والسلام وأصحابه الكرام تألقوا في سماء الدنيا، ونصرهم الله عز وجل. أي أخطر شيء أن تكون مع غير الحق، وأسعد شيء أن تكون مع الحق، قال: وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ (67) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)

سورة الزمر

بعد أن انتهت الأرض والسموات: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ كل مخلوق يموت، هذا صعق الموت، هذه سكرات الموت، لا بد من أن يذوقها كل حي، كل نفس ذائقة الموت، سيدنا الصديق رضي الله عنه عندما بلغه نبأ وفاة رسول الله بقي متماسكاً، وقال كلمة لو لم يقل غيرها لكفته، قال: "من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حي لا يموت". كل مخلوق يموت ولا يبقى إلا ذو العزة والجبروت.

والليل مهما طال فلا بد من طلوع الفجر والعمر مهما طال فلا بد من نزول القبر

صالح بن محمد بن عبد الله

* * *

كل ابن أنثى وإن طالت سلامته
فإذا حملت إلى القبور جنازة
يوماً على آلة حدياء محمول
فاعلم أنك بعدها محمول

كعب بن زهير

* * *

صدر قرار من الله عزَّ وجل بموت جميع الخلق مع وقف التنفيذ، متى؟ الله أعلم.

خيار الإنسان مع الإيمان خيار وقت فقط:

لذلك: من عدَّ غداً من أجله فقد أساء صحبة الموت، الذي يقول: غداً من أجلي، فقد أساء صحبة الموت، غداً سأفعل كذا، أنت لا تعرف الموت، الموت يخطف الإنسان خطفاً، بلمح البصر، سكتة دماغية، خير إن شاء الله، هناك كثير من حالات الوفاة المفاجئة، نام ولم يستيقظ، خرج ولم يرجع، دخل ولم يخرج، سافر ولم يرجع، ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ سابقاً أوَّضحت أن بحياتك توجد مجموعة قضايا، لا أحد منا لا يوجد عنده قضايا، لو عمل تصنيفاً، قضية زواجه، هذه قضية، قضية عمله، قضية ثانية، قضية صحته تزوج صار عنده قضية ثانية، قضية أولاده، أنجب الأولاد يوجد قضية ثالثة تزويج أولاده، هناك مجموعة قضايا، كل قضية تشغل حيزاً من حياتك، هناك قضية تشغل بالمئة عشرة، أو بالمئة ستين، هناك قضية تجعلك لا تنام الليل، يقول لك: لم أعد أعرف شيئاً حتى أحلها، القضايا تتفاوت في أحجامها، بين قضية تشغل اهتماماً قليلاً وبين قضية تستحوذ على كل اهتمامك، وأي قضية لها أمد قد يكون قصيراً، لعد أن أنهيت دراستك الجامعية موضوع الامتحانات والأسئلة والفحوص والمفاجآت وسؤال غير متوقع، الأستاذ ضرب الطلاب، هذه انتهت منها بعد عشر سنوات من تخرجك انتهت، صفحة وطويت، أخذت الشهادة وعلقتها على الجدار ونسيت شهادتك والآن تعمل بأمور ثانية لا علاقة لها بشهادتك إطلاقاً، هذه قضية انتهت، زوجت بناتك، انتهت، أصهار ممتازون، انتهت، هذه القضايا بعضها يشغل حيزاً كبيراً من اهتمامك، بعضها يشغل حيزاً قليلاً، بعضها يمتدُّ أثرها إلى أمدٍ طويل، بعضها إلى أمدٍ قصير، أنت حيالها لك خيار؛ خيار قبول أو رفض، هذه الفتاة رفضتها، شيء جميل، هذه قبلتها، هذا العمل قبلته، هذا العمل رفضته، الآن قضية الإيمان؛ قلنا قضية الزواج، قضية العمل، قضية الرزق، قضية الصحة، هذه كلها قضايا، لكن قضية الإيمان هذه القضية التي تشغل كل حيز الحياة، في علاقتك مع جسمك يدخل الإيمان، هناك تعليمات الخالق، في قضيتك مع أهلك يدخل الإيمان،

في قضيتك مع عملك يدخل الإيمان، مع أولادك، مع ربك، الإيمان يغطي الحياة كلها، ويغطي الوقت كله، لكن أخطر ما في الإيمان أن موقفك تجاهه لا موقف قبول أو رفض، بل اختيار زمن فقط، لا بد من أن تؤمن، ولكن إما أن تؤمن قبل فوات الأوان فتستفيد من إيمانك، وإما أن تؤمن بعد فوات الأوان فلا تنتفع بإيمانك، إذاً أخطر قضية في حياتك لأنها تشغل كل الحيز وكل الوقت، والخيار معها خيار وقت هي قضية الإيمان، فكيف لا نهتم به؟ كيف لا نرعى الإيمان؟ كيف لا نرسخ الإيمان؟ كيف لا نعمل على زيادة الإيمان؟ كيف لا نقتطع من زبدة وقتنا وقتاً لمعرفة الله مادام بهذه الخطورة؟ فأنا أتمنى أن تبرمج حياتك على دروس الدين، لا العكس، إن كان وقته فارغاً يأتي، إن لم يكن فارغاً والله مشغول، الآن عندنا موسم، وجد نفسه مرتاحاً، اليوم مرتاح نمت عصرًا، اليوم جاءنا ضيوف لم أستطع، القصة ليست هكذا، القصة بالعكس، تبرمج حياتك، وعملك، وضيوفك، وزياراتك وفق معرفة الله عز وجل.

كل إنسان ينتظر يوم القيامة ماذا يفعل به:

إذاً:

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ (68)

سورة الزمر

أول نفخة نفخة الموت، النفخة الثانية نفخة البعث: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ هنا المشكلة، كل تعبك في الدنيا، سهر الليالي، غصُ البصر، إنفاق الأموال، حضور مجالس العلم، خدمة أهل الحق، خدمة الحق، الدعوة إلى الله، الأمر بالمعروف، النهي عن المنكر، تلاوة القرآن، حجم عملك كله يظهر في هذه الساعة، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ لعلكم تفهمون كلمة ينظرون أي ينظرون؟ لا، لا، ينظرون ماذا يفعل بهم، إذا كان هناك مجموعة في السجن، وهناك إرهاب شديد، وفتح الباب وقيل لهم: اخرجوا، فتجدهم يتساءلون: ماذا هناك يا ترى؟ يا ترى إفراج؟ تنفس؟ مشكلة ثانية، نقل لمكان آخر؟ لا نعرف، من شدة الخوف والرعب، ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ ماذا يفعل بنا، أنت الآن في ببحوحة، الآن بإمكانك أن تتوب، بإمكانك أن ترجع، بإمكانك أن تستقيم، بإمكانك أن تؤدي الحقوق، فإذا مات الإنسان وهو على معصية، وفي ذمته حقوق لم تؤد، وفي ذمته واجبات لم تؤد، وكان في حياته خلل، وجاءه ملك الموت وقبض روحه، ثم نُفِخَ في الصور، وُبِعِثَ من القبر، ووقف ينظر ماذا يفعل به؟ إلى الجنة أم إلى النار؟ ﴿فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾.

يوجد سؤال فاتني أن أشير إلى جوابه، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ﴾ ولكن الله عز وجل قال: ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ أي يا ترى في الدنيا أليست الأرض قبضته؟ في الدنيا أليست السماوات مطوياتٍ بيمينه؟ طبعاً، فلماذا قيّد الله ذلك يوم القيامة؟ قال: لأن الدنيا فيها دعاوي كثيرة، كل إنسان يدّعي أنه قوي وأنه يفعل ما يشاء، وربنا أشار إلى ذلك فقال:

إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَمْ تَغْنَبِ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ (24)

سورة يونس

الآن تجد أحدهم لا شيء ويقول لك: أنا أفعل، أعمل، أترك، أمنح، آخذ، يوجد دعاوي كثيرة، لكن هل يستطيع أحدٌ يوم القيامة أن يدّعي أن له فعلاً؟ هذه المناقشة دقيقة، قال النمرود لسيدنا إبراهيم: من ربك؟ قال:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي رَبِّهِ أَنْ آتَاهُ اللَّهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ (258)

سورة البقرة

أنا مثل ربك، أنا أحكم على إنسان بالقتل فيموت، أعفو عنه فيبقى حياً، سيدنا إبراهيم أوتي من الله الحكمة، فالمناقشة معه في هذا الموضوع طريق عسير، تركه كلياً، قال: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ هذا الجواب المفجّم، الحاسم، ففي الدنيا هناك من يدّعي أنه يفعل ولا يفعل، يمكن الذين يملكون أسلحة الدمار الشامل يظنون أن العالم مصيره بيدهم، فهناك وهم كبير، لو أطلقوا هذا السلاح من عنانه لأهلك القارات وانتهى الأمر، هناك وهم كبير، ادعاء كبير، مع أنهم لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً إلا أن يأذن الله عز وجل، وهذا هو الإيمان، وكل ما تسمعون به مما يجري في العالم هو بأمر الله، وكل خطط البشر تستوعبها خطة الله عز وجل، ولا يستطيع أقوى الأقوياء أن يفعل شيئاً ما أَرَادَهُ اللهُ، يحسب الكافر أنه سبق الله عز وجل؟ بمعنى أنه فعل شيئاً ما أَرَادَهُ اللهُ، لا، هذا هو الإيمان، لكن المناقشة مع هؤلاء في هذا الموضوع يدخلنا في متاهة، لذلك الله عز وجل قطع حجّتهم إلى يوم القيامة، ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾ كما فعل سيدنا

إبراهيم مع النمرود، قال له: ﴿رَبِّي الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَحْيِي وَأُمِيتُ﴾ قال له ولكن: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ﴾ هنا قطع الله حجة هؤلاء المعاندين.

يوم القيامة لا يستطيع أحد أن يدعي أن الأمر بيده:

لذلك بعضهم قال عن الآية الكريمة:

صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ (53)

سورة الشورى

يا رب هي بيدك سابقاً ولاحقاً فكيف صارت إليك؟ وبيد من كانت قبلك يا رب؟ سؤال محير، العلماء قالوا: في الدنيا المؤمنون وحدهم يرون أن الأمور بيد الله، لكن أهل الدنيا؛ الكفار، المشركون، المقصرون، ضعاف الإيمان، يرون أن الأمر بيد زيد، بيد عبيد، بيد فلان، بيد علان، فربنا عز وجل قال: أما يوم القيامة فلا يستطيع أحد أن يدعي أن الأمر بيده: ﴿أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ﴾ هذا من باب المناقشة الحكيمة.

وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (69)

سورة الزمر

شرقت الشمس أي ظهرت، أما أشرقت بمعنى أنارت، شرقت ظهرت، أما أشرقت فنورت، فإذا كان الظلم ظلمات يوم القيامة فما هو النور؟ هو العدل، أي هذا اليوم يوم العدل تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، ورد في بعض الأحاديث أنه من علامات قيام الساعة موت كعقاص الغنم، أحياناً يأتي وباء يذهب بأربعة أخماس القطيع خلال يوم، موت كعقاص الغنم لا يدري القاتل لم يقتل؟ ولا المقتول فيم قُتل؟ بالفطرة الإنسان يُقتل إذا كان قاتلاً، يُقتل إذا أنشأ فساداً في الأرض، أما يُقتل فقط لأنه مسلم؟ لم يفعل شيئاً، مواطن صالح.

العاصي غبي لأنه قضى على سعادته في الدنيا والآخرة:

ما يجري في العالم الآن من الحروب الأهلية لا يدري القاتل لم يقتل؟ ولا المقتول فيم قُتل؟ إذا تمتلئ الأرض ظلماً وجوراً، يوم القيامة هذا يوم العدل: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ الآن يوجد عدل، لك أن تقول في الدنيا ما تشاء، لك أن تفعل ما تشاء، ولكن كل شيء

تفعله سوف تحاسب عليه، هذا معنى العدل، لذلك الأحق والغبي يظنُّ أنه ذكي إذا أخذ ما ليس له، وهو في منتهى الحمق والغباء لأنه لا بدُّ من يومٍ تشخص فيه الأبصار، والآية الكريمة:

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ (42)

سورة إبراهيم

الأمور أمامنا، الدروس والمواعظ لا تنتهي، كل قصة فيها حكمة وموعظة، قصتنا الجريذة؛ ظن نفسه أنه ذهب بمهمة لأميركا، معه أموال، له زوجة وفيه أهملها، قضى كل حاجته من النساء، عاد ليُقضَى عليه وليدمر أسرته، من الذكي؟ هو كتلة غباء، العاصي غبي، اترك موضوع الطيبة، طيب غير طيب موضوع آخر، غبي لأنه قضى على سعادته في الدنيا والآخرة، فمن باب الاستنباط لو أنك مفرطٌ في أنانيتك، لو أنك تحبُّ ذاتك أشدَّ الحب، عليك بطاعة الله طلباً لسلامتك.

طاعة الله عز وجل أساس النجاة يوم القيامة:

يا إخوان؛ لا يوجد حلٌ إلا طاعة الله عزَّ وجل، الأرض الآن امتلأت فسقاً وفجوراً وفتنةً، الفتن الآن يقضى، الدنيا خضرةٌ نضرة، أينما تحركت نساءً كاسيات عاريات، ما من كلمةٍ أبلغ من كلمة النبي عليه الصلاة والسلام، مرتدية لكنها عارية.. عن عبد الله بن عمرو:

سيكون في آخر أمّتي رجالٌ يركبون على سُروجٍ كأشباه الرِّحالِ، ينزلون على أبواب المسجد، نساؤهم كاسيات عاريات على رؤوسهنَّ كأسنمة البختِ العجاف، العنهنَّ فإنهنَّ ملعوناتٌ، لو كانت وراءكم أمّةٌ من الأمم لخدمهنَّ نساؤكم كما خدمكم نساءُ الأمم قبلكم.

السلسلة الصحيحة : خلاصة حكم المحدث : إسناده حسن: التخريج : أخرجه أحمد

المؤمن في المسجد كالسمكة في الماء، المؤمن جنته داره وليست الطرقات، جنته داره، جنته مسجده، مكان فسحته مكانٌ طلق لا معاص فيه إطلاقاً، هذا المؤمن، أما إذا عاش مع الناس فالعصر الآن فيه فساد، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ لذلك هذه الآية فيها عزاءٌ لكل إنسان، مظلوم؟ لا بدُّ من أن تأخذ حقك من الذي ظلمك، ظالم؟ لا بدُّ من أن تدفع ثمن الظلم باهظاً يوم القيامة، فكل إنسان يصل لهذا اليوم وهو معافى من قبل الله عزَّ وجل، ناج لا له ولا عليه، هذا الذي قاله سيدنا عمر: "أتمنى أن أموت لا لي ولا علي". لأن الأمر خطير جداً، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ﴾.

كل القيم التي يتفاضل بها الناس في الدنيا تسقط يوم القيامة إلا قيمة المعرفة والعمل

صار هناك مقاييس جديدة، صار هناك مقياس وحيد هو مدى معرفتك بالله، مدى طاعتك له، مدى إحسانك إلى الخلق، قيم المال سقطت، قيم الذكاء سقطت، قيم الوسامة سقطت، قيم القوة سقطت، كل القيم التي تفاضل بها الناس كلها تحت الأقدام إلا قيمة المعرفة والعمل.

وَلِكُلِّ دَرَجَاتٍ مِمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ (19)

سورة الأحقاف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَقَسَّخُوا فِي الْمَجَالِسِ فَأَفْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انشُرُوا فَانشُرُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (11)

سورة المجادلة

علمك يرفعك، وعملك يرفعك، مالك لا قيمة له، كونك كنت صحيحاً لا قيمة له، كنت ذكياً لا قيمة له، كنت وسيماً لا قيمة له، كل القيم تحت الأقدام إلا قيمة العلم والعمل هذا، ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾.

البطل هو الذي يملك جواباً لله عز وجل عن كل شيء فعله في الدنيا:

الآن: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ ما قولك أن كل حركاتك، وسكناتك، وكلامك، كله مسجل، ومصور، وملون، ثم يُعرض هذا الفيلم عليك، لماذا قلت كذا؟ لماذا نظرت هكذا؟ لماذا أخذت هذا المبلغ؟ نحن في الدنيا إذا شعر الإنسان أنه مُراقب، إذا شعر أن هاتفه مراقب، يحسب حساباً، يعد للألف قبل أن يتكلم كلمة واحدة، إذا شعر أنه مصور بآلة خفية، كيف يتصرف؟ أين يمشي؟ إلى أين يدخل؟ حتى لا يحاسب لم يترك دفترًا في محله، ولا ورقة، ولا فاتورة من أجل المال، إذا كنت خائفاً من موظف المال، ترجف رجفاً، إن وجد معك ورقة، أو مستنداً، أو استيراداً، أو دافع ثمن بضاعة محلها كيف حولتها؟ تعال إلى هنا، أنت مع إنسان ترتعد فرائصك فكيف مع الواحد الديان؟ ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ هذه أعمالك، لماذا طلقتها؟ لماذا قلت هذا؟ لماذا اغتصبت هذا المكان؟ لم لم تعطي الأجير أجره؟ البطل هو الذي يملك جواباً لله عز وجل عن كل شيء فعله في الدنيا، عندك جواب؟ إذا معك جواب فلا يوجد مانع، جواب لله عن كل موقف، أفعَل ما تشاء، اعملوا ما شئتم ولكن هيئ جواباً، لم قلت لهذا المريض كذا؟ أردت أن توهمه، معنى ذلك أنها مسجلة، لم قلت لهذا الموكل كذا؟ هل القاضي يرتشي؟ قلت له: أنا أدبره، مفتاحه عندي، هذه القضية لا تحتاج إلى مشورة، القانون واضح وهو لصالح الموكل، لكنك أوهمته أن هذا القاضي صعب، ومفتاحه معي، كله مسجل، بالبيع وبالشراء كل شيء مسجل.

لذلك: ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ قال العلماء: كتاب الأعمال. تقول لزميلات زوجتك: تعالين إلى هنا برد عليكن، ليس من أجل البرد، تريد الاختلاط وتدعي أن دعوتك لهن خوفاً عليهن من البرد في الغرفة الثانية، لا ليس من أجل البرد، الله يعرف لماذا قلت هذا الكلام، حركاتك، سكناتك.

يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ (19)

سورة غافر

نظراتك، كلماتك، كلُّه بعلم الله عزَّ وجل، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كله مسجَّل، فإذا إنسان أراد أن ينكر، تفصَّل هذا صورتك. مرَّةً أحضروا جهاز رادار يكشف المخالفات، فهناك سائق ذهب للمطار وأسرع أكثر مما ينبغي، الجهاز الجديد صورته وأحضره للتحقيق، ما ترك يميناَ إلا وحلَّفه، ما كنت في المطار أبداً، أروه الصورة، وهذه أليست سيارتك؟ أليس هذا رقمها؟ الصورة تسكت، فلم يستطع أن يتكلَّم ولا كلمة، هنا كذلك الكتاب فيه، الله قال:

كِتَابٌ مَرْقُومٌ (20)

سورة المطففين

أولاً: صفحاته مرَّمة، وثانياً: مع كل مخالفة صورتها، ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ أولاً: ﴿وَأَشْرَقَتِ الْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ﴾ كنت أدري وما علمني أحد، جاء الأنبياء ألم تبليغهم؟ أولاً ميزان العدل، ثم صحيفة الأعمال، ثم إقرار الأنبياء الذين بلَّغوك، أو نواب الأنبياء وهم العلماء الذين شهدوا..

تعريف بالشهداء:

﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشَّهَدَاءِ﴾ الشهداء قال بعضهم: هم العلماء الذين شهدوا لك بالحق، أو شهدوا عليك بالتكذيب، شهدوا لك أو عليك، بلَّغك، بيَّن لك، شهَدَ لك، أعطاك مشاهداته، أو شهد عليك بالتقصير والتكذيب.

بعضهم قال: الشهداء فعلاً الذين بذلوا دماءهم من أجلك. هؤلاء الذين فتحوا البلاد، فتحوها من أجل نشر الحق، فلا أعرف لماذا هنا الصحابة استشهدوا؟ من أجلك، لماذا ذهبوا إلى أطراف الدنيا؟ إلى الصين؟ إلى شمال إفريقيا؟ إلى تركيا؟ لماذا؟ ذهبوا لينشروا هذا الدين، فإذا

هم قد بلغوك، فإن قلت: لا أعرف، لا إنك تعرف، الأنبياء أنزل عليهم الكتاب، والذين قاتلوا في سبيل نشر الحق شهدوا لك بالحق.

المعنى الثالث: الشهداء هم الملائكة.

إما العلماء، أو الذين استشهدوا في ساحات المعركة، أو الملائكة، لقوله تعالى:

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ (21)

سورة ق

يسحبونه من رقيته، فإن قال: لم أفعل شيئاً، هذا شاهد عليك، لا تتكلم ولا كلمة:

﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ﴾ سائق يسوقها، فإن قال: ليس أنا. يجب: هذا هو الشهيد: ﴿وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ﴾.

عدل الله يسكت الألسنة:

هنا الميزان ميزان العدل، ووضع الكتاب كتاب العمل: ﴿وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ

وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ فلا يوجد ظلم:

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِمَنِ اتَّقَى وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا (77)

سورة النساء

الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (17)

سورة غافر

اسم الله العدل يتحقق يوم القيامة، الآن اعملوا ما شئتم، الآن هناك حرية اختيار

ولكن كله مسجل، اعملوا ما شئتم:

وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ (70)

سورة الزمر

كل إنسان نال جزاءه الأوفى الكامل، لا يوجد ولا كلمة، لذلك قالوا: عدل الله يسكت

الألسنة.

والحمد لله رب العالمين